

## التحليل الفلسفي والادبي لفكرة العبث في كتابات البير كامو

عوداش فتيحة- طالبة دكتوراه  
جامعة الجزائر 2  
أ.د. آمال علاوشيش  
جامعة الجزائر 2

تاريخ القبول: 2019/12/08

تاريخ الإرسال: 2019/11/23

تاريخ النشر: 2019/12/30

### ملخص:

خلق الدمار الشامل الذي أصاب البشرية بعد الحرب العالمية الأولى والثانية شعوراً بالقلق والضياع والاعتراب وانتشار الفوضى واللامبالاة، حتى أصبح الوجود والحياة في العالم شبه مستحيل. هذا الواقع دفع بالمفكرين والفلاسفة إلى دراسة الوضع بأفكارهم وكتاباتهم الأدبية أو الفلسفية، وكان على رأس هؤلاء الفرنسي المعاصر البير كامو. هذا الأخير الذي مزج بين الأدب والفلسفة في كتاباته للتعبير عن الواقع والوجودي البشري الذي اتسم بالعبث واللامعقول.

الكلمات المفتاحية: العبث، اللامعقول، الفلسفة، الأدب.

### Abstract :

Indeed the mass destruction who hit human postwar worldwide first and second, feeling in the worry created and the loss and the emigration and spreading of the chaos and the indifference, corroded the presence became and live in him impossible comparable with, so the reality raved pushing in the thinkers and the philosophers for study their the status in ideas and their literary writings or philosophical on head their Albert camus, raved charitable who the literature and the philosophy in his writings for the expressing about the reality and the human existentialist mixed between who the frivolity and absurdism be characterized in.

Key words:absurdity, irrational, philosophy, literature.

### مقدمة:

دفع الوضع المأساوي الذي عاشه الإنسان ضمن الوجود العبثي الفلاسفة والأدباء إلى تشخيصه ودراسة تطوراته عبر التاريخ من أجل إيجاد الحلول المناسبة لمساعدته علي تجاوزه، وقد تجسدت أعمالهم في الروايات والأساطير والمسرحيات إما شعراً أو نثراً ممزوجة بالمفاهيم الفلسفية والأدبية، وذلك من أجل الإبداع وتطوير اللغة وإثرائها والتخلص من الركود اللغوي والجمود الفكري، الوضع الذي جعل الأدب والفلسفة بخاصة في العصر المعاصر في تطور مستمر. هذا التطور والانسجام والتداخل الموجود بين المجالين دفعنا إلي

البحث عن العلاقة التي تربطهما، وذلك من خلال دراسة فكرة اللامعقول بينهما. وعليه السؤال الذي يطرح نفسه علينا هو: ما هي الأبعاد الفلسفية في النصوص الأدبية لأعمال الوجودي الفرنسي ألبير كامو؟ وهل المعنى الحقيقي والإيحاءات التي ترمز إليه كتاباته تعبر عن واقع حقيقي أم واقع خيالي؟

### 1- ضبط مفهوم اللامعقول:

ظهر أدب العبث أو اللامعقول بصورة واضحة بعد الحرب العالمية الثانية للتعبير عن لامعقولية الحياة وعن الوضع الذي يعيشه الإنسان من جهة، و عن مأزق الفرد واغترابه عن الواقع بخاصة في المجتمعات الأوروبية من جهة ثانية، حيث انحلت روابط الأخوة والتعاون والمساواة بسبب البعد عن الدين والقيم الأخلاقية.

هذا الواقع المخيف اعتبره بعض المفكرين من الفلاسفة والأدباء خاصة في منتصف القرن العشرين، واقعاً قد فقد معناه في نظر الكثير من الناس ممن يتمتعون بالذكاء ورهافة الإحساس، حيث انحل ما كان يعتبر يقينا من قبل، وانهارت أسس الأمل وسقطت فجأة جميع عهوده وجميع تفسيرات المعنى الغائي<sup>1</sup>.

معنى ذلك أنّ الحياة أصبحت في مثل هذا العالم شبه مستحيلة، بسبب الغموض والفوضى واللامبالاة بين الناس، وانعدام الثقة، وزوال روح الإبداع والمبادرة من أجل التجديد والتنوير، وهو الوضع المزري جعل الأدباء والفلاسفة يصبون اهتماماتهم لدراسته عن طريق كتابة قصائد أو أساطير، و كل قصيدة أو أسطورة إلا وتحمل في طياتها معاناة الإنسان وحرمانه في هذه الحياة وشقائه ورغبته في تجاوز العراقيل.

ولهذا كانت الفلسفة الوجودية من المذاهب التي حاولت دراسة مفهوم اللامعقول، والتي كان لها الدور الكبير في التعبير عن مأساة الإنسان في هذا العالم وهو ما يتجلى بوضوح خاصة في كتابات كامو وسارتر بشدة.

وعليه، فاللامعقول هو نوع من الاختزال الفكري لنمط معقد من التشابه في التناول والطريقة والتقليد، ومن الأسس الفنية والفلسفية المشتركة سواء أكان إدراكها بوعي أم بلاوعي، ومن التأثيرات الناجمة عن رصيد مشترك من التراث. مثل هذه التسمية تكون مفيدة وصالحة لا بعدها تصنيفا ملزما أو جامعا مانعا، بل لمساعدتها إيانا على فهم واستيعاب العمل الفني ضمن توجه ما<sup>2</sup>، فالعبث أو اللامعقول هو ما ليس له هدف، حيث يضع الإنسان عندما تنقطع جذوره الدينية والميتافيزيقية والروحية، وتصبح أفعاله لا معنى لها، ولا جدوى منها، وتتهب عبثا فهوليس سوى حالة الاختناق التي تعتوره<sup>(3)</sup>.

هذا التعريف نجده في رواية الغريب لألبير كامو عندما تحدث عن موت والدة "ميرسول"، هذا الأخير الذي تلقى نبأ الوفاة بكل برودة أعصاب ولا مبالاة، وكأنه لا يعرف هذه المرأة ولا تعنيه في شيء، ولا تقربه أصلا، فهو لم يتأثر بوفااتها، بل شعر بأنه أمر قد يحدث لأي بشر في هذا الوجود، فالموت شيء طبيعي حتى يرتاح الإنسان من لامعقولية الحياة.

وقد أطلق أيضا مصطلح اللامعقول على مجموعة من المؤلفين المسرحيين في العقد السادس من القرن العشرين الذين لم يعدوا أنفسهم مدرسة، ولو أنهم بدؤوا يتخذون مواقف من محنة الإنسان في الكون.... حيث تشخص بوصفها لا هدف، في وجود غير منسجم مع ما يحيط به<sup>(4)</sup>.

معناه ذلك أن مسرح اللامعقول اتخذه الأدباء بوصفه طريقاً للترويح على النفس، من خلال كتابة مسرحيات وأساطير للتغلب على الملل والابتعاد عن التشاؤم والاغتراب، ومن أجل توفير الجو المريح والملائم للعيش في راحة وهدوء، وإثراء اللغة بمصطلحات جديدة وصور بيانية راقية بغية تطوير الأدب بشكل خاص. أما من الناحية الفلسفية فاللامعقول يحمل في طياته معاني الاغتراب والتشاؤم والموت واللامبالاة، وأيضاً معاناة الإنسان وشقائه في مواصلة الحياة والبحث عن معنى للوجود.

ويطلق اللامعقول على المسرح الطبيعي، وهي تسمية غالباً ما تبدو عامة وغير دقيقة علي اعتبار أن الطبيعة في المسرح صفة تصلح لكل الحركات والتيارات التجديدية ومنها اللامعقول، فهي تطلق علي كل عمل تيار أدبي أو فني يكسر الأعراف السائدة ويمهد لمنظور جديد<sup>(5)</sup>، وعليه نقول أن مسرح العبت له دور فعال في الكشف عن اللامعقول في الوجود، سواء بالدراسة الأدبية أو الدراسة الفلسفية.

المعنى الأول الذي حاول رواد هذا المسرح تأكيده هو أنه من العبت أن يبحث الناس في مسرحهم عن أي معنى، ولكن السبب الذي أعلنوه لذلك كان كافياً لدفع النقاد إلى التنقيب عن معنى العبت ذاته وعن الجوانب المتعددة لذلك المعنى، وقد كان السبب هو أن يكون هو نفسه قد فقد معناه، والتاريخ يكشف عن مهنةٍ سخيّةٍ بأن الإنسان قد حولته المؤسسات القديمة إلى آلاتٍ وأشياء، وإلى حيوان متبلد، أو إلى آلة أو مجرد شيء مدفون وسجلّ أشياء كثيرة<sup>(6)</sup>، ومنه فاللامعقول سواء كان بالكتابات الأدبية أو الفلسفية فهو يشير إلى هذا الوجود الروتيني والعبثي والآلي، الذي يبعث في نفوس البشر الشعور بالملل والقلق، وهو الشعور الذي يولده في الذهن ليفقد الإنسان السيطرة على العالم.

## 2- الأبعاد الفلسفية والأدبية في فكرة اللامعقول:

من خلال تحليل فكرة اللامعقول في كتابات كامو نلاحظ المزج والانسجام في تحليل هذا المصطلح، حيث كانت كتاباته وأعماله تتراوح بين الأسلوب الأدبي تارة والفلسفي تارة أخرى، والهدف من ذلك هو جعل القارئ في وضعية تستدعي الشك والقلق والتفكير العميق في المعنى والهدف، وفي هذا الصدد يقول: "لا تفكر إلا بالصور، وإذا أردت أن تكون فيلسوفا عليك بكتابة الروايات"<sup>7</sup>.

ويبدو من خلال قوله هذا أنه يدعو إلى ضرورة الإعتدال علي الرواية عند كتابة المواقف والصور التي يعيشها الكاتب أو يراها، ويضعها في قلبها، لأنها تساعد علي التعبير عن أفكاره الفلسفية التي تشغل ذهنه، وهذا دليل على علاقة الادب بالفلسفة .

فالعبت عند كامو من الناحية الفلسفية يكمن في هذا الصراع القائم بين العالم اللامجدي واللامعقول وتلك الرغبات المضطربة التي يعيشها الإنسان، فيحدث أن تنتهدم مشاهد المسرح بالنعوض، الباص، أربع ساعات في الدائرة أو المصنع، وجبة الطعام، النوم، الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء، الخميس، الجمعة، السبت، طبقاً للنسق نفسه - حيث من الممكن السعي في هذا الطريق بسهولة دائماً<sup>8</sup>.

وهنا نجد أن كامو قد لجأ إلى عرض فكرة العادة والروتين في حياة الإنسان في هذا الوجود باستعمال أسلوب أدبي بسيط هو السهل الممتنع، وهدفه من ذلك جلب عدد كبير من القراء للتنقيب في معاني هذه الأفكار التي تبدو واضحة وغامضة في الوقت نفسه، والتي

تجعل القارئ تارة يعيش الحدث، وتارة أخرى يتعجب منه، خاصة وأنها تحمل بعداً فلسفياً متشائماً من الحياة كالخوف من الموت، والاعتراب، واللامساواة.

العبث إذن هو الإحساس بمشاعر الضياع واللاهدف، والحيرة، والاعتراب، وقد جسدها مسرح اللامعقول بأصدق صورها من خلال الحوارات غير المترابطة، والمفككة، والمكررة والفارغة من المعنى، ومن خلال السلوكيات غير المفهومة، والحبكات التي يغيب عنها مفهوم التطور المنطقي الواقعي للأحداث، بحيث مثل الإحساس سخفاً ولا معقولية الواقع الإنساني مصدراً غنياً للكوميديا<sup>9</sup>.

ومنه نلاحظ أن اللامعقول أو العبث قد تجسد أيضاً في طريقة عرض وكتابة الأفكار والمواقف والصّور في حياة الإنسان في هذا الوجود، بخاصة بعد الحرب العالمية الثانية حيث تجلّى عند كامو بطريقة مختلفة ومغايرة للكتابات القديمة، والهدف هو تجاوز الكتابات التقليدية والتمرد عليها، وهو ما جعل كتاباته تتسم بالحيوية والجمال الفني.

وكما يظهر اللامعقول في غياب الرّابطة المنطقية بين أجزاء العمل وبين العمل ومرجعه في العالم، مما يؤدي إلي اضطراب المعنى وصعوبة التفسير العقلاني، ومن ثم جنوح العمل نحو الغرابة والإدهاش أو الإضحك أو خلق الشعور بالتشاؤم. ومن هنا يمكن اعتبار اللامعقول طابعاً يدخل ضمن التّصنيفات الجمالية مثل المأساوي والمضحك<sup>10</sup>، وهو ما نلمسه خاصة في رواية "أسطورة سيزيف" فهذه الرواية تبدو من الوهلة الأولى أنها تروي قصة شابّ يدرج صخرة بلا انقطاع إلي أعلى الجبل إلا أنها تهوي مرة أخرى إلي الأسفل بسبب ثقلها، وفيها نلاحظ أنّ كامو تعمّد المزج بين الأدب والفلسفة، وذلك عندما قام بصياغتها بصيغة مشوّقة من خلال توظيف الأسلوب الأدبي كالصّور البيانية الجميلة والتعبير المريح وأسلوب في غاية الجمال.

أما من الناحية الفلسفية فإنّ هذه الرواية تحمل أبعاداً فلسفية عن الوجود في حد ذاته، فهي تصور لنا حالة الإنسان في هذا العالم وهو يصارع من أجل الحياة للتغلب على الملل والروتين الذي هو نفسه اللامعقول.

ومنه فإنّ المسرح العبثي يدل علي شكل من أشكال الكتابة المسرحية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، عارضاً الحالة البائسة للوضع البشري ومطبعاً بمواضع ومبادئ المسرح البرجوازي<sup>11</sup>.

إنّ الإحساس بالعبث لا يأتي من الشعور بالقلق تجاه العالم، ولا من الوعي بالعدم، أو الإحساس بالغثيان بل على العكس، فإن سبب مأساة الوجود يكمن في الجمال العظيم الذي يتميز به العالم الذي يتنكر للإنسان، فالعبث يولد من القطيعة بين الرغبة في المطلق التي يوقظها الجمال في الإنسان، وبين الوضع الإنساني الموسوم بالفقر والألم والموت، ومن ثم، فإن تجربة العبث تتمثل في الصراع بين قوتين متناقضتين هما: الموت الحتمي للإنسان الذي يتنكر له العالم، والإقرار بجمال الطبيعة<sup>12</sup>.

ويأتي العبث أيضاً من العجز عن التفكير في أحداث العالم بواسطة المفاهيم والكلمات، والوقائع التي لا أهمية لها في الحدث، والتي أصبح لها معنى عندما تم تحويلها بشكل منطقي أثناء المحاكاة، فقد اعتبرت الحركة التي قام بها "ميرسو" بمحض الصدفة، في نظر العدالة، فعلاً شنيعاً تم عن سبق الإصرار والترصد، ذلك أن النائب العام أعاد في اتهامه، بناء ماضي المتهم بطريقة تضي عليه صبغة الانسجام، قصد تأويل مشاعر القاتل وفق هذا المنطق<sup>13</sup>.

هذا التفكير في الوجود العبثي من الناحية الفلسفية في أعمال كامو له بعد خاص وهو أنه يبعث في نفسية الإنسان الشعور بالاغتراب، والتشاؤم، والانتحار، والقلق من المستقبل والمصير في ظلّ هذا العالم. خاصة عندما يدرك الإنسان أنّ حياته ليست لها قيمة ولا أمل في هذا الوجود، فيلجأ إلي البحث عن طريق آخر للهروب من هذه اللامعقولة السائدة، فيجد طريق التمرد والثورة والفنّ والتضامن هو الحلّ المناسب للتخفيف عن النفس والتخلص من اللامبالاة والاكتئاب ومن كلّ المشاعر التي تعكر مزاجه.

أمّا من الناحية الأدبية فالتفكير في الوجود العبثي له بعد آخر وهو تصوير حياة الإنسان في قالب فكاهي مضحك أو في قالب مأساوي من أجل عرضه على خشبة المسرح للجمهور بغية التغلب على متاعب الحياة والترفيه من جهة، و من جهة أخرى بغية إثراء الفكر اللغوي وتنوعه.

فاللامعقول يؤمن بأنّ الحقيقة هي: مزيج محكم من المعقول واللامعقول وهو ما يفضي إلى الاعتداد بإبراز التضاد الجذري في كلّ شيء. التضاد بين الرقة والدمامة، بين الكلمة المنطوقة والحركة المؤدّاة، بين التفاهة والمستحيل، بين المضحك والمأساوي ... بصبغة من القسوة والفظاظة<sup>14</sup>. ولهذا تعدّ كامو في كتاباته استعمال الأسلوب الفلسفي لتقريب الحقيقة إلى الواقع من أجل التعبير عن مأساة الإنسان في هذا العالم، وإقناع الرأي العام بما يحدث للبشر خلال مواجهتهم وصراعاتهم بين الحياة والموت.

ومن أجل تشويش فكر القارئ وتعجيزه عن فهم المعنى الحقيقي من الفكرة، استعمل كامو الرمز والإبهام في كتاباته، فتارة تجده يتكلم بضمائر الغائب وتارة أخرى بضمائر المتكلم، ليجد القارئ نفسه في تناقض، هل ألبير كامو يكتب عن نفسه أم عن الآخرين؟ هذا الغموض في كتاباته كان لها هدف هو اكتساب العديد من القراء والدارسين لها، وإلى يومنا هذا لا يزال البحث مستمراً عن المعنى الحقيقي الذي كان يريد إيصاله إلى فكر القارئ أو الباحث.

إنّ الإنسان في صراع دائم لمواجهة الوجود العبثي بغية تحقيق الإستمرار، ويعتبر ألبير كامو من الفلاسفة الذين ساهموا بكتاباتهم الفلسفية في تبرير العبث واللامعقول في الوجود البشري، حيث أنه عاش طفولته وشبابه في المعاناة والفقر والمرضي. يقول كامو: "أعرف أن منشئي يكمن في الظهر والوجه، في هذا العالم من الفقر والضياء الذي عشت فيه طويلاً، وحيث الذكرى لا تزال تحفظني من الخطرين المتناقضين عند كل فنّان"<sup>15</sup>، فالفقر والمرض هما العاملان اللذان ساهما في تكوين الشعور بالاغتراب عند فيلسوفنا، حيث قضى أغلب حياته يعيش حالة وعي بالموت، ولعل المرض الذي أصابه مبكراً - مرض السل-، كان السبب المباشر في إيقاظ شعوره بذلك<sup>16</sup>.

لقد قضى شبابه يصارع الموت وهو ما يعد في نظرنا من أسباب الاغتراب عنده، حيث حاول بفلسفته أن يجيب عن عدة أسئلة شغلت فكره منها ما ذكره في أسطورة سيزيف في قوله: "فما هو إذن ذلك الشعور الذي لا يوصف، والذي يحرم الذهن من النوم الضروري للعيش؟" ولكن هل هناك منطوق عند مرحلة الموت؟<sup>17</sup>.

نلاحظ أنّ جلّ كتابات الفلاسفة والأدباء - وبخاصة كتابات كامو- أنها قريبة من حياته الشخصية، فعندما نتصفح مثلاً رواية "الغريب" نشعر بأنه يتحدث عن نفسه وعن حياته العبثية، واللامبالاة في ظلّ مجتمع انهارت فيه القيم والمبادئ الأخلاقية، فمسرح العبث -أو ما يسمّىه بعض نقاد مسرح اللامعقول- ذو معنى مزدوج: فموضوعه من ناحية عبث الوجود

أو "رهبة الفراغ" في الكون، رهبة يعي بها العقل، ومن ناحية أخرى يقوم بتصوير الوعي الحاد بهذا الفراغ والعبث، لا عن طريق المنطق الأرسطي، بل عن طريق تجارب معزولة تتصل بأعمق النفس المرتاعة أمام مأساتها الهائلة اللامعقولة، أي المستعصية الإدراك<sup>18</sup>.

فتصوير الحياة العبثية بعد الحرب العالمية الثانية في مسرح اللامعقول كانت أكثر دقة ووضوح عن سابقها، لأن معظم الكتابات كانت مستوحاة من واقع الإنسان وقد تعمّد الفلاسفة والأدباء الاسترسال في عرض الأفكار وعدم التقيد بالمنطق العقيم الذي يجعل اللغة معقدة بحيث لا يستطيع الفكر الوصول إلى الحقيقة. يقول كامو: "الإنسان الذي يكون مدركاً للاجدي يربط بها إلى الأبد"<sup>19</sup>.

فالعبت يتولد عن الصراع القائم بين الإنسان والعالم أي بين رغبته في العيش في طمأنينة وسعادة وحرية، ورفض العالم الاستجابة العالم لهذا النداء، وهذا ما نستخلصه من حياة كامو نفسها، أي من حياته التعيسة انطلاقاً من وجوده الشخصي، حيث عانى الفقر والمرض، والضياع في هذا العالم، وكان مصرعه أو موته خير دليل علي ذلك. لقد كان مصيره خير مصداق لمذهبه في الوجود؟ لقد قتل في حادث سيارة علي الطريق الأهلي وهو عائدٌ إلي باريس بعد عطلة رأس السنة في الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والخمسين في اليوم الرابع من شهر يناير من عام 1960<sup>20</sup>.

إنّ عرض كامو لفكرة العبت أو اللامعقول لم تكن بطريقة سهلة، وإنما باللجوء إلي استعمال تقنيات أدبية وفلسفية في الوقت نفسه، حتى يكسب نخبة معينة من القراء للتقريب في أفكاره، فأعماله لم تكن موجهة لعامة الناس من أجل القراءة والمتعة والترفيه، وإنما كانت لها أبعاد فلسفية تحمل معاناة الإنسان المعاصر وصراعه بين البقاء والموت.

وكلمة العبت كما يقول سارتر: "تولد الآن تحت قلبي، صحيح أنني لم أجدها حين كنت في الحديقة، ولكني مع ذلك أبحث عنها، فلم تكن لي حاجة إليها: كنت أفكر بلا كلام عن الأشياء مع الأشياء، لم تكن العبثية فكرة في راسي، ولا لها صوت، وإنما كانت هذه الحياة الطويلة الميته عند قدمي، هذه الحية الخشبية، حية أو ظفر أو جذر أو مخلب نسر، كل هذا علي السواء ... إني وجدت مفتاح الكينونة ، مفتاح غيثناتي، مفتاح حياتي نفسه"<sup>21</sup>.

والمسرح الطليعي – كما تقدّم- هو مصطلح فرنسي الأصل يشير معناه إلى القيادة الجديدة في الحقل المسرحي، كما يدلّ على الحركة التجديدية التي كانت تتّجه نحو مزيد من التحرر، وقد يدلّ المصطلح إجمالاً على الكتابات المسرحية الجديدة التي تتضمنّ تجديداتٍ في الشكل والحرفية<sup>22</sup> ، فالخوض في مسرح اللامعقول من الناحية الأدبية هو محاولة كسر القيود الكلاسيكية لكتابة المسرحيات وعدم الالتزام بها، وهذا من أجل التجديد والتغيير، وهذه المعركة أكسبت الأدب لغة جديدة وموحية.

لقد كشف سارتر العبت أو الغثيان من الواقع أو من الوجود، أي من خلال احتكاكه مع الحياة وممارسة حرّيته، بما أنّ العبت موجود في الإنسان، وهو من يخلقه وهذا بسبب اللامبالاة وعدم إعطاء المعنى للحياة، ويضيف "سارتر" أنّ الغثيان ليس في: فأنا أحسه هناك علي الجدار، علي الرافعتين، حولي في كل مكان، فليس هو والمقهى إلا شيئاً واحداً"<sup>23</sup>.

وما نلاحظه في أفكار سارتر كذلك أنه مزج بين الأدب والفلسفة، وقد جاءت كتاباته ممتعة خاصة عند تعريفه العبت في كتابه "الغثيان"، فهو في هذه الحالة لا يروى لنا قصة من أجل الترفيه، وإنما يعرض لنا حالة الإنسان في ظل الدمار والحرمان والبؤس الذي يعيشه في ظل

غياب العدالة والمساواة. الغثيان هو الشعور الطبيعي الذي يظهر لأي واحد يواجه التشويش المتدفق اللزج، الغامض الذي يكون عالم المظهر المحسوس القلق، هو الشعور الطبيعي الذي ينتج في مواجهة الانفتاح لمستقبلنا<sup>24</sup>، أي أن العبث موجودٌ فينا وهو ناتجٌ عن الروتين والآلية في أعمالنا اليومية، وهو ما يخلق فينا الشعور بالملل والقلق والنفور من الحياة التي فقدت معناها، خاصة بعد الحروب العالمية الأولى والثانية.

العبث يحدد المسافة التي تفصل بين الشخص باعتباره ذاتا، وبين المنطق الذي يعتبر بمثابة محاولة لخلق نظام عقلائي للعالم، وبسبب هذه المسافة، يصبح من الضروري خلق نظامٍ آخر أخلاقي ديني يعتمد على الإيمان بقوة عليا لا يمكن الوصول إليها، فالعبث يصبح في نفس الوقت انعكاسا لصمت الله، ومؤثرا على ابتعاد الذاتية<sup>25</sup>.

لقد دفعت كل هذه الاضطرابات واللامعقولية في الحياة كامو إلي البحث عن حقيقة الوجود والحياة والهدف منهما، وكيف يستطيع الإنسان أن يتكيف مع هذا العالم ويفرض ذاته. هذا مانجده في رواية "أسطورة سيزيف" خلال مساءلته للواقع، حيث يجسد التعارض الأزلي القائم بين العالم والعقل، فإرادة العقلنة المطلقة المرتبطة بالكائن البشري تصطدم بلاعقلانية العالم الذي يتصف بالغموض والغرابة، والذي تنعدم فيه الأوهام<sup>26</sup>.

في هذا السياق يقول كامو: "هنالك حقيقة واضحة تلوح أخلاقية تماما، وهي أن الإنسان دائما ضحية حقائقه، فإنه حين يقربها لا يستطيع أن يحرر نفسه منها، وعلى المرء أن يدفع شيئا، والإنسان الذي يكون مدركاً للجدوى يرتبط بها إلي الأبد، والإنسان الخالي من الأمل الذي يدرك أنه كذلك لا يعود يمد للمستقبل بصلة وهذا طبيعي، ولكن من الطبيعي أيضاً أن يكافح ليتخلص من لا معقولية الكون. وليس لما ذكرته مغزى إلا بموجب هذا التعارض، ولقد أقر البعض بالوجود اللامجدي مبتدئين بنقد المعقولية وليس هناك شيء أدلّ هنا من تفحص الطريقة التي توصلوا إلي بها نتائجهم"<sup>27</sup>.

إن سمة التكرار التي تتسم بها الحياة اليومية تؤدي إلي الكشف عن عدم جدوى الوجود وعبثية الواقع، وتجربة العبث عندما تتعمم، تجرد العالم من كل معنى، إذ تبرز عدم ارتكازه علي أي أساس: الناس أيضاً يفرزن اللانسان، ففي بعض الأحيان التي تتسم بالصفاء، تجعل حركاتهم الآلية وإيماءاتهم لا معنى لها، العالم يبدو من حولهم بليدا. كأن تبدو لنا الحركات التي يقوم بها رجل يتحدث في الهاتف خلف الزجاج دون أن تسمعه، وكأنها حركات لا معنى لها.<sup>(28)</sup>

هذا، ولا يمكن القول بأن الإحساس بالعبث لا يأتي من تحليل بسيط لحدث ما أو انطباع ما، ولكن من المقارنة بين حالة بعينها وحقيقة معينة، بين فعل ما وبين العالم الذي يتجاوزها، العبث في الأساس، قطيعة، فهو لا يوجد في أي عنصرٍ من العناصر المقارن بينها، وإنما يولد من اصطدام بعضها ببعض<sup>29</sup>.

لقد استطاع كامو أن يؤثر بأفكاره في الدارسين والقراء على حد سواء، ليستهوي ميولاتهم ويدفعهم إلي التفكير فيما جاء بها من رمزية وإيحاء وإبهام، وليؤثر على نخبة معينة برواية "الغريب" خاصة، حيث يري بعض الدارسين أنها أجود رواية من حيث التأثير والإقناع وأحسنها بناء في الأدب العالمي<sup>30</sup>، فهي مجموعة من الصور والمواقف التي عايشها أو عاشها في حياته، والتي يوظفها حتماً في التعبير عن الأفكار الفلسفية التي تعج في ذهنه وتدفع به دفعا إلي الكتابة والإبداع.

والصّور والمواقف التي تحدث عنها كامو ليست خيالية أو اللاحقية، وإنما هي مستمدة من واقع المعيش، والمسجلة في دفتر أيامه كما عبّر عن ذلك عدة مرة في تصريحاته هنا وهناك، وكان قد أشار صراحةً إلي أنّ أبطال روايته هم صورة لشخصه وبعض من عرفهم في حياته، وأنّ الموضوعات التي تناولها في رواياته لا تختلف عن تلك التي كانت تشغله في حياته<sup>31</sup>، فقد لجأ الفلاسفة والأدباء إلي تصوير العالم بصورة صارمة وقاسية ومخيبة، وعلى الرّغم من أنّها تتخذ في معظم الأحيان قالب الخيالات المفرطة إلا أنّها مع ذلك واقعية في جوهرها، بمعنى أنّها لا تتهرب أبداً من واقع العقل الإنساني بما هو عليه من يأس، وهو في وحدة في عالم غريب وعدائي. إن الواقعية في هذه المسرحيات نفسية وباطنية. إنّها تستكشف أعماق اللاوعي الإنساني بدلاً من أن تحاول وصف المظهر الخارجي للوجود الإنساني<sup>32</sup>.

إنّ عبثية الحياة المفعمة بالزّيف والكذب من ذلك الغثيان... من أولئك البشر الذين يخفون وراء حركاتهم وأحاديثهم حيوانية مخيفة... حتى أنك لتتساءل لماذا هؤلاء الناس؟ إحساس بالجدب والموت والآلية، ولهذا فقد بدا على هذه التجربة أنّها لا تخلو أيضاً من نزعة إلي النقد الاجتماعي... نقد البرجوازية<sup>33</sup>. لا معقولية الوضع الإنساني ذاته في عالم فقد إيمانه ويقينه... فعندما يصبح من المتعذر تقبل نظام كامل من القيم المبنية علي إرادة حكيمة علوية، فإن مواجهة الحياة تُكون مريرة وقاسية... وهي النتيجة الحتمية لمواجهة الحقيقة العارية، لذا لم يواجه كتّاب مسرح اللامعقول الإنسان من حيث طبقة الاجتماعية أو بيئته التاريخية أو تجاربه الجزئية اليومية، بل من خلال أساسيات مركزه في الوجود<sup>34</sup>.

ومنه فالحياة في الوجود العبثي ماهي إلا تمضية للوقت وتسلية لقتل الرّوتين والملل، ومهما بلغ الإنسان درجة من المعرفة والعلم، إلا أنه يبقى يعيش في العبث واللاجدوي، لأنّ الفطرة التي فطر عليها تجعله يحمل في ذاته بذور العادة والروتين، ولا يوجد إنسان تخلو حياته منها، فكلّ الناس يعيشون في الرتابة والكآبة والعادة والقلق والأمل، والخوف من الموت.

والوجوديون منذ كيركغارد الي هيدغر وسارتر قد زدونا، بتحليلاتٍ مشرفة لحالاتٍ وجدانية، كالقلق، والملل والغثيان، وحاولوا أن يبينوا أن مثل هذه الحالات، ليست غير ذات مغزى فلسفي<sup>35</sup>. وللخروج من العبث واللامعقول في نظر كامو لا بد من ممارسة التمرد الذي هو وسيلة يلجا إليها الإنسان لرفض الواقع اللامعقول الذي اكتشفه بوعيه ورفض الاستسلام له بالانتحار وقرّر أن يواجهه. في الحقيقة هو تمرد علي عبثية الحياة التي لا طائل من وجودها وقدّر لا سبيل لفهمه، وبذلك فإنّه يحاول أن يظهر الوجه الفائق لإنسانية الإنسان الذي يصوره العمل والمجازفة بأسلوبه الخاص على أنّها الوجه الأساسي للحياة، ذلك الوجه الذي يكشف عنه من ناحيته في العودة إلي الحرية والانعتاق والنضال<sup>36</sup>.

فالانتحار هو التمرد والرفض باعتبار أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش في تناقض مع العالم ومع نفسه، ولهذا فهو يعني المطالبة بنوع من الشفافية، كما يعني وضع العالم موضع السؤال في كلّ لحظة من لحظاته، ولما كان التمرد هو مواجهة اللامعقول فإنّ الوعي منصبّ عليه كلبية<sup>37</sup>. والإنسان إذا أدرك في لحظة من لحظات حياته أنه مقهورٌ وتعيّس، وأنّ القدر الذي كتب عليه لا يتماشى مع طموحاته ورغباته، فإنه بالضرورة يتمرد ويرفض هذا الواقع اللامعقول الذي لا يستطيع فهمه منذ البداية وهذا ما يبرره الواقع اليوم.

ومنه فالتمرد هو وسيلة للتحرر من كل القيود والعادات والتقاليد البالية التي تسيطر على عقل الإنسان وتقيدته، وهو الذي يجعل الإنسان يسترجع احترامه وكرامته. يقول كامو: "إن حركة التمرد ليست في جوهرها حركة أنانية قد يكون لديها ولا شك مقاصد إلى ذلك، إن المتمرد اعتباراً من هذه المقاصد وفي توثبه الصميمي لا يصون شيئاً، لأنه يغامر بكل شيء، لا جرم أنه يطالب بالاحترام من أجل ذاته، ولكنه بمقدار ما يتوحد ذاتياً مع جماعة طبيعية"<sup>38</sup>. إن المتمرد الذي يرفض الحياة التي يعيشها والتي فيها جميع ألوان الاضطهاد، يحاول من خلال ذلك أن يجعل لها معني وغاية وقيمة وأن يحقق ذاته بوصفه إنساناً، "فالمتمرد إنسان يقول لا ونعم، فإنه لا يتخلى هو أيضاً. إنسان يقول نعم منذ أول بادرة تصدر عنه، إن العبد ألف تلقي الأوامر طلية حياته يري فجأة أن الأمر الجديد الصادر إليه غير مقبول، فما هو فحوى هذه؟- أنها تعني مثلاً (أن الأمور استمرت أكثر مما يجب) وأنها مقبولة حتى هذا الحد، ومرفوضة فيما بعده، وأنتك غالبيت في تصرفك، وتعني أيضاً حداً يجب أن لا تتخطاه"<sup>39</sup>.

معنى هذا أن الإنسان هو ذلك الشخص الذي يقول "لا" و"نعم"، أي هو ذلك الذي يتلقي الأوامر من سيده ويرفض الامتثال لها، حيث جاء اليوم الذي ينقلب عليه الأمر ويتمرد علي طاعته واحترامه، لأنه ربما أدرك أن حريته قد سلبت منه وأنه لا يستطيع أن يفعل ما يشاء، وعليه فإنه يلجأ إلي محاولة وضع حد لهذه الحياة اللامعقولة بالتمرد والثورة، أي برفضها واللجوء إلي حياة أفضل يحقق فيها عزة النفس والكرامة.

من هذا نلاحظ أن البيركامو لم يستطع الفصل بين الفلسفة والأدب في عرض أفكاره التي كانت تتمحور بين العبث أو اللامعقول تارة، وبين التمرد والثورة تارة أخرى، مستعملاً في ذلك التقنيات الأدبية والمنهج الفلسفي، والهدف من ذلك هو محاولة جعل القارئ يبحث عن المعني والغاية من كل فكرة.

#### خاتمة:

يعد التكامل بين الفلسفة والأدب ظاهرة ملموسة رغم التباين والاختلاف الموجود بينهما، إلا إنهما في تواصل وتكامل، فالأدب الفلسفي يحمل مضامين فلسفية بأشكال تعبيرية قد تكون شعراً أو نثراً. وكل شكل من هذه الأشكال إلا وتعالج قضية تخص الإنسان بطريقة، أدبية والهدف من ذلك محاولة التقرب بالقارئ إلي واقعه وكيفية الخروج من معاناته ومأساته، وهذا ما نجده في أعمال كامو الذي حاول تشخيص حالة الإنسان المعاصر بعد الحرب العالمية الثانية.

وقد اعتمد في عرض أعماله على استعمال التخيل، والرمز، التكرار، والإيحاء والإبهام والمجاز، من أجل تشويق القارئ وجلبه للتنقيب في محتوى هذه الأفكار الأدبية والفلسفية في الوقت نفسه. وعليه فقد كان لفكرة اللامعقول أو العبث بعداً أدبياً وفلسفياً. والتنقيب عنها كان قد جلب العديد من القراء والنقاد، وهذا ما جعل الأدب والفلسفة يعرفان تطوراً كبيراً خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وكامو في حد ذاته لم يفصل بين وإنما مزج بينهما، وهذا ما نلتمسه في حديثه عن كليهما، ومن أراد أن يكون فيلسوفاً في نظره عليه أن يكتب الروايات والأساطير.

الهوامش:

(1) مارتن أسيلين، دراما اللامعقول، ترجمة صديقي عبد الله خطاب، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1970، ص 30.

- (2) مارتن أسيلين، المرجع نفس، ص9.
- (3) Euggn Lonexo :notes et contre notes edition, Gallimard, Paris, p232.
- (4) جون رسل تيلر، الموسوعة المسرحية، ترجمة: سمير عبد الرحيم الحلي، الجزء 2، سلسلة المأمون، ط1، 1990، ص13.
- (5) ماري الياس وحنان قصاب، المعجم المسرحي، مكتبة لبنان ناشرون، ط2، 2006، ص300.
- (6) سامي خشبة، قضايا المسرح المعاصر، الموسوعة الصغير، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1977، ص25.
- (7) Carnets (1962) ;Mars 1935-fev1942 ;Gallimard ;Paris,p23.
- (8) سامي خشبة، المرجع نفسه، ص35.
- (9) Margret darble and jenny stringer: oxford concise companion to English literature, oxford university press,2007,p3.
- (10) ماري الياس وحنان قصاب، المعجم المسرحي، ص303.
- (11) بول ارون وآخرون، معجم المصطلحات الأدبية، ترجمة: محمد حمود، المؤسسة الجامعية للدراسات، 2012، ص729.
- (12) فرانك ايفرار، البير كامو، ترجمة: الزهرة رميح، النايا للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 2014، ص21.
- (13) فرانك ايفرار، المرجع نفسه، ص45.
- (14) صموئيل بيكيت وآخرون، مسرح العبث، مسرحيات عالمية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970، ص406-405.
- (15) Albert camus ;l' envers et l'endroit .Paris:Galimard;1958;p11.
- (16) Mareal melancon;Albert camus; Analyse de sa pensée; paris;edition universitaires fribourg;suisse;librerie klincksiseck;france;1976;p78.
- (17) ألبير كامو، أسطورة سيزيف، ترجمة: أنيس زكي حسين، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة لبنان، 1983، ص14.
- (18) محمد غنيمي هلال، في النقد المسرحي، دار النهضة بيروت. دط. دت، ص34.
- (19) ألبير كامو، المصدر نفسه، ص41.
- (20) عبد الرحمان بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، بيروت، المؤسسة العربية للنشر، ط1، 1980، ص200.
- (21) جون بول سارتر، الغثيان، ترجمة: سهيل إدريس، ص880-881.
- (22) ابراهيم حمادة، معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، القاهرة، دار الشعب، 1971، ص251.
- (23) جون بول سارتر، المرجع السابق، ص30.
- (24) محمد شفيق شيا، في الأدب الفلسفي بيروت، ط1، 1980، ص80-81.
- (25) فرانك ايفرار، المرجع نفسه، ص55.
- (26) فرانك ايفرار، البير كامو، ص58.
- (27) ألبير كامو، أسطورة سيزيف، ص40-41.
- (28) فرانك ايفرار، البير كامو، ص31.
- (29) فرانك ايفرار، المرجع نفسه، ص50.
- (30) Leo pollman,sartre and camus,literature of existence, new York ,1970,p125
- (31) Maillot Laurent,camus ou l imagination du desert,preses unversitaires de montreal canda,1973, p4
- (32) مارتن أسيلين، دراما اللامعقول، ص24
- (33) مارتن أسيلين، المرجع نفسه، ص36
- (34) سامي خشبة، المرجع نفسه، ص45.
- (35) جون ماكوري، الوجودية، تر: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة، فؤاد زكريا، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1982، ص20
- (36) رجر البيرس، الاتجاهات الأدبية الحديثة، ترجمة: جورج طرابيشي، بيروت: منشورات عويدات، 1965، ص91.
- (37) محمد بحيان، مفهوم التمرد عند البير كامو وموقفه من الثورة الجزائرية الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ساحة المركزية الجزائرية، 1984، ص48.
- (38) ألبير كامو، الإنسان المتمرد، ترجمة: نهاد رضا، بيروت، منشورات عويدات، ط1، 1973، ص115.
- (39) ألبير كامو، الإنسان المتمرد، ص18.